كلية : التربية الأساسية حديثة

القسم او الفرع : التأريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : م. د. مروان علي مخلف حمد

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المغرب الإسلامي.

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Morocco's lslamic History

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة العربية : تأسيس دولة الأغالبة.

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة الإنكليزية : Establishment of the Aghlabid state

تأسيس دولة الأغالبة

قامت في المغرب العربي عدة دول مستقلة كما اشرنا فيما سلف الى دولة الأدارسة في المغرب الاقصى، وقامت في المغرب الاوسط دولة الرستميين في تيهرت، اما المغرب الأدنى فشهد قيام دولة الأغالبة، ويرجع الأغالبة في أصلهم الى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، والذي كان من الجند العرب المقيمين في خراسان، وساهم بالثورة العباسية مع أبي مسلم الخرساني، وبعدها انتقل الى العراق واصبح يعمل ضمن الحرس الخاص للخليفة أبي جعفر المنصور الذي وجهه بعد ذلك مع محمد بن الاشعث الخزاعي في سنة (١٤٤هـ/٨٦١م)، الى شمال افريقية لتثبيت السلطة العباسية هناك بعد قيام حركات عديدة مناوئة للسلطة من قبل الخوارج، والأباضية، والصفرية، وقد اوصى ابو جعفر المنصور ان يكون الاغلب بن سالم هو الأمير وبعد محمد بن الاشعث ان حصل للأخير حادث. وتمكن محمد بن الاشعث وبمساعدة الأغلب بن سالم من الانتصار على القبائل البربرية الخارجية المتمردة، واصبح والياً على القيروان، وعين الأغلب بن سالم على منطقة الزاب، ثم ولاه الخليفة ابي جعفر المنصور على أفريقية بعد أن تمرد الجند على أبن الاشعث وطروده من الولاية سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م)، واستطاع الأغلب بن سالم ان يعيد الاستقرار الى الولاية وكتب إليه المنصور: (يأمره بالعدل في الرعية وحسن السيرة في الجند، وتحصين مدينة القيروان وخندقها وترتيب حرسها...).

وقد قتل الأغلب بن سالم بعد اصابته بسهم حينما كان يدافع عن القيروان اثناء هجمات المتمردين عليها سنة (١٥٠هـ/٧٦٨م)، فكانت ولايته سنة واحدة وثمانية أشهر، ليقر بعدها الخليفة هارون الرشيد إبراهيم بن الاغلب والياً على مدينة القيروان سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م)، وتمكن ابراهيم بن الاغلب ان يقضي على الخارجين على السلطة، واستمر في سياسته الرامية الى التقرب الى الخلافة العباسية والذي كان يعد بمثابة اليد الضاربة للخلافة العباسية في أفريقية فكان ذلك سبباً في تعيين ابن الأغلب على ولاية افريقية، حتى انه كاتب الخليفة الرشيد رغبة عن أهل البلاد ويطلب منه ولاية افريقية، وانه عرض عليه الاستغناء عن المعونة المالية السنوية التي كانت تقدمها الخلافة من مصر الى القيروان، وتبلغ مائة الف دينار، وانه تعهد بدفع مبلغ أربعين الف دينار سنوياً الى بيت المال في بغداد، وعلى اية حال فقد تم تعيين ابن الاغلب على افريقية سواء كان ذلك بمبادرة الرشيد نفسه، او نتيجة لساسة ابراهيم لإعادة السلطة الشرعية في افريقية، وتم

تعينه والياً على افريقية سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م).

ابتدأ ابراهيم بن الاغلب حكمة ببناء مدينة جديدة لتكون مقراً لإدارته وعاصمة لحكمة ففي سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م)، شرع ببناء مدينة القصر الابيض جنوب القيروان، وسماها (المدينة العباسية) وذلك تعبيراً عن ولائه للعباسيين، وشملت المدينة على قصر للأمير وما يلحق به من ابنيه الدولة ودواوينها، وداراً لسك النقود، ومساكن الحاشية، والمسجد الجامع، ومعسكرات الحرس، والاسوار التي تحيط بالمدينة، واصبحت تنافس القيروان، وكانت توجد رحبة كبيرة تسمى الميدان كانت تستخدم لعرض الجند واسلحتهم حتى اصبحت المدينة مقراً حصيناً له ولحرسه المخلصين الذين ابتدأ بشرائهم من العبيد، وعندما تم الانتهاء من بناء المدينة اخذ ينقل اليها السلاح والعتاد بالتدرج، ثم غادر القيروان في جنح الظلام حتى لا يشعر به خصومه الذين ادركوا غايته من بناء المدينة، وبهذا اصبحت هذه المدينة مقراً للأغالبة، ومعسكراً لحاشيته وقواته وجنده السود.

واستطاع ابراهيم بن الاغلب ان يقيم كيان سياسي في المغرب الاوسط ويدار بصورة لا مركزية من قبل الخلافة العباسية ويكون حكم بني الاغلب فيها وراثياً وذلك ليثير حماس الاغالبة ويرفع معنوياتهم لمواجهة الادارسة والقضاء عليهم من دون ان تستزف الخلافة اي خسائر مادية او بشرية، وان ظهور الاغالبة لا يعني ضعف الخلافة العباسية وعدم قدرتها على مواجهة الاخطار بل كان قراراً صائباً من قبل الخليفة هارون الرشيد وذلك لتحقيق الامور التالية منها:

١- ظهور حركة الادارسة في المغرب الاقصى والتي اقامت لها كياناً سياسياً بعد ان نجح ادريس بن عبد الله من الافلات من موقعة الفخ سن (١٦٩هـ/٧٨٥م)، لذلك عمد الخليفة هارون الرشيد الى المواجهة الغير مباشرة مع الأدارسة.

٢- بعد المسافة بين بغداد والمغرب، وان هذا يستلزم الى وجود جيش قوي يعتمد ذاتياً على نفسه، كما ان هذ الجيش يحتاج الى مؤن وأموال طائلة تصرف من خزينة الدولة.

٣- اسهمت هذه الامارة في الدفاع عن حدود الدولة العربية الاسلامية ضد هجمات الروم البيزنطيين، الذين كانوا يجوبون سواحل البحر المتوسط، كما ان الخلافة لم تتعرض الى خسائر مادية وانما ربحت الكثير من الأمور منها ان الخليفة اشترط على الاغالبة ان يقضوا على الادارسة وان يضعوا حداً لتوسعهم وان يسددوا رواتب العمال والموظفين من خزينة الأمارة من دون ان تدفع لهم الخلافة الأموال، وان يذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة والعيدين وان ينقشوا اسمه على السكة،

وان تدفع هذه الأمارة خراج سنوي لبيت المال في بغداد، وذلك لان وضع الخلافة كان صعباً في المشرق لكثرة الاضطرابات في أرمينيا، وأذربيجان، وخراسان، واليمن، وظهور حركات متعددة للخوارج وحركات التمرد التي قام بها الجند في المغرب، لهذا اتخذ الخليفة هارون الرشيد اجراءات مالية شديدة لمقاومة هذه الحالة.

وبقيت العلاقة طيبة بين الأغالبة والخلافة العباسية التي ابتدأت بين الرشيد وإبراهيم الاول طيلة عهد الاغالبة، واتخذ الاغالبة اللون الاسود الشعار الرسمي للعباسيين، ودافعوا عن راية الخلافة العباسية في داخل البلاد وخارج البلاد؛ اما العلاقات بين الاغالبة والامويين في الاندلس فإنها اندرجت ضمن النزاع الكامن بين العباسيين والأمويين، ونظراً لبعد المسافة بين الأغالبة والأمويين بالأندلس فقد اقتصرت على علاقات تحفظ معادٍ على صعيد السياسة. واستمرت العلاقة الطيبة بين الخلافة العباسية والامراء الذين جاؤوا من بعد ابراهيم بن الاغلب وقدمت بغداد خدمات اخرى للأغالبة، وقد توفي ابراهيم بن الاغلب في سنة (١٩٦هـ/٨١٢م)، بعد حكم دام لأكثر من أثني عشر عاماً، وقد خلفه أبناؤه الذين أفادوا من جهوده في تأسيس الدولة الأغلبية حيث ترك أبراهيم أمارة متكاملة الأجزاء، وابتدأ خلفاء ابراهيم بن الأغلب ومنهم زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب، اذ تذكر المصادر على انه من افضل امراء الاغالبة مقتدراً في مجال السياسة والحرب والعلم، وتقدير العلماء لذلك شيد القصور والمراكز الثقافية في القيروان، وأسس الاسطول العربي الاسلامي المزود بالسفن الحربية والمعدات العسكرية، وذلك لان سياسته كانت تهدف الى توسيع نفوذه في حوض البحر المتوسط، لذلك قام بسلسلة من الحملات البحرية واستطاع ان يضع حداً لهجمات الدولة البيزنطية ونشر الاسلام في جزر البحر المتوسط ووصل هذا الاسطول الى جنوا، والبندقية، وسواحل ايطاليا، وبعد وفاته حكم أمارة الاغالبة عدد من الامراء تميزت عهودهم بالاستقرار والهدوء ومواصلة هيمنتهم العسكرية فضلاً عن بناء المدن ومواصلة العمران، وقد نجحت هذه الاسرة في إدارة البلاد لمدة تزيد على القرن من الزمن، حتى مجيئ الفاطميين سنة، (٢٩٦هـ/٩٠٨م).

اما جهود الاغالبة على صعيد الحملات البحرية والاهتمام بالأسطول العربي، فشرع زيادة الله الأول وانشأ دار اخر في مدينة سوسة لصناعة السفن الى جانب دار صناعة السفن في تونس. فقد قام زيادة الله الاول بن ابراهيم ابن الاغلب سنة (٢٠١هـ/٨١٦م)، على جزر البحر المتوسط وذلك لفتح جزيرة صقلية، وهناك عدة عوامل دفعت الاغالبة لفتح هذه الجزيرة منها:

١- اهمية موقعها الجغرافي في صد غارات الروم، فضلاً عن غنى هذه الجزيرة بالموارد الطبيعية، اضافة الى سوء الظروف الداخلية للجزيرة فقد كان اهلها يعانون من الحكم البيزنطي، وثقل الضرائب المفروضة عليهم مما جعلهم مستعدين لأي تغير يحقق لهم مصالحهم ويخلصهم من نفوذ الكنيسة ورجال الدين.

٢- تمثل جزيرة صقلية بالنسبة للعرب معبراً يوصلهم الى أوربا في عملهم الجهادي ونشر الاسلام، وهناك سبب أخر شجع المسلمين لفتح هذه الجزيرة فهناك خلاف حصل بين قائد الاسطول أوفيميوس والامبراطور ميخائيل الثاني، فالتجاء الاول الى الاغالبة وعرض عليهم المساعدة وفتح هذه الجزيرة تنفيذاً لعمليات الفتح وبدأت الاستعدادات العسكرية للحملة وبلغ تعدادها مائة مركب، اما رجال الحملة فبلغ عددهم نحو ٧٠٠ فارس بخيلهم، و١٠آلاف راجل، ودرات بين الجيشين معركة سميت مرج بلاطة نسبة الى قائد الجيش البيزنطي بلاطة فأنهزم البيزنطيون وقتل قائدهم سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، ولأهمية هذه المعركة كتب الأمير زيادة الله الى الخليفة المأمون يبشره بانتصار المسلمين وفتح جزيرة صقلية على يد القائد أسد بن الفرات، وضربوا حصار شديد على سرقوسة عاصمة صقلية ومعقل الروم البيزنطيين ولطول الحصار الذي فرض عليها اوشكت المدينة ان تفتح، الا ان تفشي الوباء في المعسكر العربي وتوفي عدد كبير من المسلمين ومنهم أسد بن الفرات سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وتمكن العرب بعد نحو خمسين سنة من محاولة أسد ان يدخلوا هذه القاعدة الحصينة وذلك في عهد الوالي جعفر بن محمد الذي واصل الحملات وفرض عليها الحصار براً وبحراً ولمدة تسعة أشهر ودخلوها عنوه برمضان سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م)، وهكذا اصبحت جزيرة صقلية بيد العرب المسلمين، وقد أستغرق افتتاح جزيرة صقلية نحو ثلاثة أرباع القرن اي لأكثر من ٧٥سنة وهذه حقبة طويلة جداً اذا ما قورنت بفتح الأندلس التي استغرقت خمس سنوات لبسط سيطرتهم على شبه الجزيرة الإيبيرية.

كانت هناك أسباب وعوامل كانت سبباً مباشراً عملت على اطالة فتح جزيرة صقلية ولفترة طويلة من الزمن:

١- ان قوات الفتح العربية لصقلية كانت تواجه مقاومة شديدة من قبل قوات بطريق الجزيرة قسطنطين المدعومة بالإمدادات البيزنطية.

٢- بعد المسافة بين صقلية والبر الأفريقي ساعد على اطالة أمد الفتح، بسبب صعوبة وصول

الامدادات للأغالبة الموجدين في جزيرة صقلية.

٣- تفشي الوباء في معسكرات العرب ووفاة أعداد كبيرة من المسلمين فكان منهم القائد أسد بن الفرات.

ولقد حقق الفتح العربي لصقلية نتائج مهمة وعلى كافة الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية:

١- الناحية السياسية: انهى الفتح حكم الإمبراطورية البيزنطية على الجزيرة، واصبحت جزيرة عربية تابعه للأغالبة، وانتهت السيادة البيزنطية على البحر المتوسط، واصبح الاسطول العربي يتخذ من صقلية قاعدة هامة للهجوم على الجزر والمضايق، واصبح البحر المتوسط بحيرة عربية.

٢- الناحية الاقتصادية: أثر الفتح العربي لصقلية على زيادة التبادل التجاري العالمي في البحر المتوسط، واستطاع العرب ان يسيطروا على التجارة العالمية التي تمر عبر هذا البحر.

٣- الناحية الاجتماعية: استقرار مجموعات كبيرة من العناصر التي يتألف منها الجند في هذه الجزيرة وتعايشهم مع السكان الأصليين، واصبح المجتمع الصقلي يضم المسلمين من عرب وبربر، والنصارى، واليهود، وأقوام من اليونان، والصقالبة، وغيرهم وكان العرب يشكلون النخبة الحاكمة، ويليهم البربر لدورهم الفعال بالفتح، اما النصارى فهم أكثرية سكان الجزيرة الذين عاشوا بظل حُكم المسلمين.

٤- الناحية الفكرية والثقافية: فقد اصبحت صقلية مركزاً للآداب والعلوم في البحر المتوسط، وكانت مساجدها مراكز مهمة لهذه النشاطات التي يدرس فيها النحو واللغة العربية والعلوم الدينية، واصبحت محط انظار العلماء من كافة نواحي العالم الإسلامي، وألفت بها الكتب التي كان يستخدم فيها الورق الأبيض في كتاباتهم وكان أول ورق عرفته أوربا، حتى اصبحت هذه الجزيرة معبراً لنقل الثقافة والحضارة العربية الإسلامية الى أوربا.

المصدر: تاريخ المغرب العربي، عبد الواحد ذنون طه، خليل ابراهيم السامرائي، ناطق صالح مطلوب.